مقدمة

هذا النص في أصله محاضرة قدمتها ليلة الأحد الرابع من رمضان ١٤٢٨هـ الموافقة للسابع عشر من أغسطس ٢٠٠٧م، في النادي الأدبي بالرياض، وقد كانت بعنوان: «الحرية عند علي عزت بيجوفتش»، سرت مع صاحب الرحلة إلى الحرية عبر منازل مهمة، ومواقف فكرية وشخصية في مجالات: الحرية تستحق المعرفة والفهم، وحرية الروح وحرية العقل وحرية البدن، وحرية الأمة والعرق، مسار يختلف عن طريقة أبحاث الحرية ومسالك دراستها المعتادة في البحوث، إن أقررنا بمناهج تضبط ذلك. وعند مراجعة النص للنشر أكملت بعض القضايا المتصلة بالمحاضرة، وعقبت تعقيباً له صلة بالموضوع عن السعادة في منظور علي عزت مقارناً ببعض النصوص من فلاسفة آخرين، وعرجت على موضوع السجن وأثره، بأقل القول، وبالرغم من أهمية السجن في مسيرة حياته السياسية والفكرية، ولكنه كتب عنه بنفسه ما يغني عن

إعادته. ثم إني أعطيت الاهتمام لمسألة الحرية عنده بوصفها مسيرة بحث عنها، فصاغ البحث عنها سيرته أملاً وعملاً، فلم تكن عنده بحثاً علميّاً، ولا ترفاً فكرياً، بل كانت حاجة ملحة، ومشروعاً لأمة ولشخص، فعمل لها وبحث عنها وخاض معركتها لتحرير روحه وعقله وبدنه.

بعد أن فرغت من كتابة هذا النص وتقديمه رأيتني قد تبعت في المحاضرة طريقته في كتابه: «هروبي إلى الحرية» حيث إنه قرأ ولخص نصوص الناس مع تعليقات قليلة منه، ورأيتني فعلت ذلك هنا! ولعل هذه الطريقة تحت هذا العنوان هي الأنسب، والأكثر دقة وأماناً في زمن قصير، وفي محاضرة عاجلة، وكان مصدر الدراسة الأساسي هو الكتاب السابق، مع شيء من السيرة الذاتية، ونادراً ما رجعت آنذاك إلى كتاب: «الإسلام بين الشرق والغرب» وقد أردت أن أضع بيد المثقف مفتاحاً لبعض آراء علي عزت ومواقفه في قضية مهمة وهي عنده قضية عمر، ولتكون بداية اهتمام، وشيئاً من التقريب، لا يغني عن ورود المشرع.

علي عزت هنا قد يكون من تعرفون، و قد تجدون هنا شخصاً آخر، يختلف عن الذي كان في صورة الإعلام أو في الذاكرة، ولكني لم أتصنع تصنيفاً مفتعلاً بلا سبب، ولم أتكلف افتراضاً ولا تنظيراً، فقد يظهر هنا، كما عهدتموه، أو ترون أنفسكم في مرآته، أو يخالف ظنكم، فحسبي أني قدمت منه جانباً مهمّاً للمثقفين والمهتمين بحياته العملية ونصوصه

المهمة، أو كما أحببت له أن يكون، لقد تجنبت تفاصيل كثيرة لها علاقة بقصة البوسنة كالتاريخ والحرب ثم الصلح، وأعرضت عن جوانب شخصية عديدة تمسّه؛ لأن هذه القضايا إما أنه قد كتب عنها بنفسه (في سيرته الذاتية)، أو كُتبت عنها نصوص تاريخية وسياسية موسعة وكثيرة، لا حاجة لتكرارها. وقد خرجت قليلاً ونادراً إلى قضايا رأيتها مهمة، أو تستحق التفاتاً من عابر قاصد مكاناً آخر، فشدّ انتباهه في الدرب ما يستحق لمحة بلا وقوف كافٍ لرؤية المشهد. كما أنني حرصت على تجنب موضوع «الحرية» كمفهوم، ولم أتحدث أيضاً عن «الحرية في الإسلام»؛ لأنني كتبت بحثاً أطول عن الموضوع، أرجو أن يطبع قريباً.

أشكر للأساتذة الأفاضل الذين كان لتعليقاتهم -شفاهة أو كتابة- على المحاضرة أثرها على الصياغة النهائية، منهم الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك، والدكتور عبد الله الصبيح، والدكتور سعد العتيبي، والدكتور محمد العبد الكريم، والأساتذة خالد البسام ومحمد ناصر الأسمري وعدد من الحاضرين الذين كان لملاحظاتهم دورها في صقل بعض جوانب المحاضرة. وكان للأستاذ أحمد إبراهيم ملاحظاته الجيدة لمعرفته بالبوسنة، وتوضيحات لبعض اللبس، وقد كان للدكتور محمد موفق الأرناؤط مؤرخ البلقان الكبير مساهمته المشكورة في ضبط بعض المعلومات المتعلقة بثقافة المنطقة، وكان للصديق سامي الحصين دوره في صقل هذا النص، كما أشكر أخيراً للأستاذ محمد الهويمل

المشرف على برامج النادي الأدبي في الرياض اهتمامه بالموضوع، فهو سبب هذه الفكرة، ثم لتقديمه وإدارته لحوار ثري في أمسية رمضانية ماتعة.

أما القسم الثاني الذي كتبته لاحقاً بعنوان: «الفن والدين عند علي عزت بيجوفيتش» فقد قرأه كل من الأستاذ حسن بن حسن من جامعة قطر، والدكتور محمد السعيدي مشكورين، وكانت لكل منهما ملاحظاته القيمة التي أفدت منها، وعدلت بعض الأفكار والصياغات، وبعض الملاحظت لم تجد طريقها للنص مع تقديري الكبير لرأيهما.

هذا القسم الأخير دراسة ملحقة تناولت جانباً مهمّاً من كتاب هو أهم أعماله الفكرية هو: «الإسلام بين الشرق والغرب»، وقد كتبت هذا القسم بعد نحو عامين من تقديم وتحرير «المحاضرة» أو القسم الأول، فاختلفت طريقة كتابته تماماً عن الطريقة التي اتبعتها في القسم الأول «المحاضرة» فهذا النص الأخير أقرب إلى دراسة ورؤية من مجرد حشد لما جمعه وما قاله في الموضوع، ولم يكن ممكناً في هذا السياق -المستنبطة فكرته من كتابه: «الإسلام بين الشرق والغرب» المختلف عن النصوص المجموعة وتعليقاته- أن أسير على ما سبق في بحث الحرية عنده، ولأن نصوص الحرية كانت في غالبها نقلاً مع قليل من التعليق، أما في القسم الثاني فكان الحديث عن الفن مغرياً بالالتفات هنا وهناك وبالتعليقات والملاحظات، وقد قاومت -أحياناً- إغراء

تفريع الدراسة والبقاء عند قوله، فلم يكن ذلك ممكناً أغلب الأوقات. وبسبب مما أشرت إليه في البحث الثاني من ارتباط الحرية بالفن والدين والروح عنده ولأنها أخذت جهداً كبيراً من كتابه الأهم فقد جمعت النصين -مع اختلاف طريقة التناول- في نص واحد يتجاوز مسألة الشخص ومسألة الحرية والتكامل في شخصيته وفي فكره إلى عناصر أخرى تستحق تأمل القارئ المهتم بالموضوع قبل وبعد الشخص الذي كان مثالاً في إنكار ذاته، فاعترف به الجميع.